التربية الإسلامية

العدد الخامس
السنة الخامسة والعشرون

جمادى الأولى ١٤٠٤هـ
شباط ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

الصحيفة		
٢٥٨	حقوق على النفس	هيئة التحرير
٢٦٠	من تفسير كتاب الله العزيز (ألم نجعل الارض مهاداً)	
٢٦٦	من جوامع الكلم (من محاسن الأخلاق)	
٢٦٨	غذاء الروح (بين اللغة العربية والقرآن الكريم)	فضيلة الاستاذ عبدالرحمن مطلك الجبوري
٢٧٣	واعبدوا الله	للأخ باسل حيدر يونس
٢٧٥	محمد اقبال الشاعر والمفكر	للأخ هاشم طاهر الرفاعي
٢٧٨	فردية التبعة والجزاء في الفكر الاسلامي	فضيلة الاستاذ ابراهيم النعمة
٢٨٧	كلمات مبصرات	للاستاذ ميسر بشير الحاج حسن
٢٩٠	أفي الله شك ؟	للأخ كمال ياسين الريكاني
٢٩٧	التوبة	بقلم اللواء المتقاعد كامل طه الدبوني
٣٠٠	تطور أساليب الاستشراق	فضيلة الشيخ بدر الهلالي
٣٠٦	القرآن الكريم في وجه التحدي	للاستاذ سالم علي قاسم
٣٠٨	الرحم في الاسلام	للأخ عبدالباسط خليل محمد
٣١١	نصائح طبية (أحد أمراض المدنية)	
٣١٥	نظرة في كتاب الومضات في تخريج أحاديث كتاب الديّات	عرض الأخ أكرم يوسف ابراهيم
٣١٧	ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	بقلم السيد ابراهيم محمود المدرس

تطور أساليب الاستعمار

مناورة باردة

فضيلة الشيخ بدر الهلالي
- الموصل -

ان استخدام الاساليب والتحكم في تصريفها سياسة ذكية يلجأ اليها القادة والمفكرون لمواجهة المتغيرات والظروف الطارئة • والاسلوب هو سياسة خاصة في جزئية من الجزئيات التي تساعد على تحقيق سياسة عامة ترسم لتحقيق غاية من الغايات التي يقتضيها نشر الفكرة أو طريقة نشرها •

فالمعسكر الرأسمالي يقوم في تنفيذ فكرته - التي هي اقصاء الدين عن الحياة في العالم - عن طريق الاستعمار - أي فرض السيطرة السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية - على الشعوب المغلوبة لاستغلالها ، وهذه الطريقة وهي الاستعمار ثابتة لا تتغير لدى الدول الرأسمالية مهما تغيرت الحكومات ومهما اختلفت قوانينها • والاستعمار ليس كما يقول لينين (هو أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية) ، بل الاستعمار هو جزء من وجهة النظر في الرأسمالية وهو الطريقة التي تنشر الرأسمالية بواسطتها في العالم • لذلك كان لابد من استخدام الاساليب وتكيفها بالمتغيرات السياسية للسير بالفكرة وتثبيت قاعدتها وتوسيع مداها ليكون انسياحها في الارض حياً مع الحياة آخذا في طريق التوسع والانتشار •

ومن أمثلة تطور أساليب الاستعمار ما لجأت اليه أمريكا باعتبارها الدولة الرأسمالية الاولى في تغيير أسلوب الاستعمار القديم أو اضافة أساليب اليها ، ونتلمه من صورته المرئية الواضحة - وهي وجود الجيوش والقواعد والمطارات في البلاد المستعمرة - الى صورته المستورة المتوارية وهي ربط الدول التي تريد استعمارها بواسطة القروض والمساعدات الاقتصادية والمنح المالية • فاستغنت بذلك عن الجيوش في حراسة مصالحها عن طريق الاسلوب الجديد • يقول جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الاسبق في كتابه (حرب أو سلم)[1] تحت عنوان - التطور السلمي للمستعمرات - ما نصه : (بانتهاء الحرب العالمية الثانية كانت أخطر مشكلة سياسية هي مشكلة المستعمرات • ولو أن الغرب حاول المحافظة على الحالة الراهنة في

---

(١) (حرب أو سلم) ترجمة عفيف الصمدي ص١١٣ •

المستعمرات لادى هـــذا الى حدوث ثورات عديدة وانهزام أكيد • وكانت السياسة الوحدة الناجحة هي منح الاستقلال الذاتي بطرق سلمية الى الشعوب الاكثر تقدمـاً ونضوجاً بين الـ « ٧٠٠ » مليون شخص) •

والطرق السلمية التي يتحدث عنها دالاس ليست هي الا الوجه الآخر في ابقاء سياسة الاستعمار • ولكن بصورته الخفية المقنعة التي لا تثير المشاكل لامريكا ولا تثير كذلك اهتمام الشعوب ومشاعرها •• وهذه الطرق السلمية يفسرها وضوح (جستر باولز) وكيل وزارة الخارجية الامريكية السابق في كتابه (الآفاق الجديدة للسياسة العالمية)[٢] تحت عنوان ـ فوائد وحدود المساعدات الاقتصادية ـ حيث يقـــول : (وعند وضع الخطط لهذه المساعدات يجب علينا أن نميز ونفرق بين المواقف التي سبق أن واجهتنا في فيتنام وكوريا مثلا وبين السياســة السلمية الواســعة في تقديم المساعدة كما جرى لنا في الهند وبورما وباكستان وأندونيسيا واليابان وبعض البلدان الاخرى في أفريقيا) • ثم يعلن صراحة عن الاسلوب الجديد فيقـول : (تعـــاني البلدان النامية من المطالبة المنظمة برفع الاجور ومن الصعب عليها أن تخرج من هذا المأزق من غير رأسمال ضخم عن طريق القروض أو عن طريق المنح)[٣] • ثـــم يضيف قوله : (هناك طريقة أخرى يمكن لامريكا بواسطتها الحصول على تنميـــه مجدية هناك دون استثارة شعور السكان المحليين وتلك هي الاستفادة من الجمعيات والمؤسسات الصناعية والدينية والخيرية الخاصة • وأن الكثير من هـــذه المؤسسات كمؤسسة روكفلر وكارنيجي وفورد ، أصبحت لهـا سمعة حميدة في تلك البلدان المختلفة)[٤] •

ويؤكد (جستر باولز) : (أنه كلما توسعت مساعدات أمريكا الاقتصاديـــة كلما كان لتلك المساعدات والجهود التأثير المنشـود) • ويتضح من كل هـــذا أن الولايات المتحدة نهجت في سبيل تثبيت أقدامها في البلاد المستعمرة أسلوبا جديـدا

---

(٢) كتاب الافاق الجديدة للسياسة العالمية ودور الشرق الاوسط ترجمة ابراهيم عبدالرحمن الخال ص٤٧٠ •
(٣) المصدر السابق ص٤٦٧ •
(٤) المصدر السابق ص٤٧٨ •

للاستعمار • ذلك لان الشعوب المستعمرة تيقظت لوجود هذا الطارىء الدخيل فـي أراضيها ووجود قواعده ومطاراته وقواه العسكرية • فأخذت تقاومـــه وتكافحه • فكانت تحصل الثورات والانتفاضات ضد هذا الوجود الاستعماري ولا زالت آثارها حتى الان • فكان لابد من اسكات هذه الشعوب مع الابقـــاء على استعمارها ودون استثارة مشاعرها وذلك عـــن طريق ربطهـــا بالقروض وزيادة المساعدات الماليـــة والاقتصادية وما برنامج المساعدات الخارجية الامريكية التي يقرهـــا (الكونغرس الامريكي) سنويا الا من أجل اطالة أمد الاستعمار • فان أمريكا لا تقـــدم المنـح والعطايا للدول المتخلفة من أجل سواد عيونها دون أن تجعل منها مزرعة خصبـــة لمصالحها • أن هذا المثال هو نموذج لفهم كيفية تطور الاساليب وتغير الواقع فكما تغير اسلوب الاستعمار كذلك تغير اسلوب المستشرقين في هجومهم على الاسلام • فبعد أن أحسوا أن اسلوب الهجوم المباشر على الاسلام أفكارا وأحكاما لا يجدي • وليس بامكانهم تغيير العقلية الاسلامية وجعل المسلم ينساق وراء حضارتهم ويفكـر على طريقة المقاييس الغربية عن طريق الطعن الصريح والدس المكشوف والهجـوم السافر • بعد ذلك لجأوا الى اسلوب استشراقي ماكر يضمن لهم اجتذاب المسلمين للتفكير بعقلية استشراقية ورأسمالية واتخاذهم حضارة الغرب مقياسا للاعمال ومصدرا للسلوك ومنهجا في الحياة وذلك عن طريق اسلوب الهجـــوم غير المباشـــر ، أي (الطريقة السلمية) •

فلقد كان الاستشراق في بداية عهـده يأخـــذ طابع الهجوم العنيف والتعصب الحقود الذي يتقاطر غيظا وانفعالات تضطرم نارها في شغاف قلوبهم حسدا من عند أنفسهم • فهاجموا القرآن الكريم باعتباره تجربة شخصية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ظاهرة الوحي الالهي وارتباطه بالله عز وجل ارتباطـــا علويا باعتبـــاره رسول الله ويصدر في حياته عن رب العالمين • فقد جاء في كتاب (تاريخ محاضرات ج• ايزاك)[٥] التي حررها (أ• ألبا) قوله : (وأتفق لمحمد في أثناء رحلاتـــه أن يعرف شيئا عن عقائد اليهود والنصارى • ولمـا أشرف على الاربعين أخذت تتراءى

(٥) التبشير والاستعمار (للدكتور فروخ وخالدي ص٧٤ ط المكتبة العصرية •

له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا) • ثم يصف قوله (والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة) • ثم هاجموا الحرب الاسلامية باعتبارها حربا عدوانية قائمة على التعصب حيث يقول المنسنيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحقيقي)[٦] (في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الاسلام الذي أُسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب • لقد وضع محمد الاخلاق ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات) • وهكذا كان يستمر غيظهم في التشنيع على الاحكام الشرعية والفقه الاسلامي فهاجموا نظام الرق ونظام العقوبات وتعدد الزوجات وزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشاعوا خرافة تأثير الفقه الروماني في الفقه الاسلامي فكانت هذه الهجومية السافرة واضحة لكل مبصر • لذلك أدركوا أن هذا الكيد المباشر يحفز المسلمين ولا يزيدهم الا تفتحا وتعنتا وصلابة ونفورا ، ويضطرهم لمقابلة الهجوم بمزيد من التمسك والاصرار • فكانت ردود الفعل الساخنة تؤكد للمستشرقين أن اسلوب الهجوم المباشر عاجز عن تحقيق سياستهم الباغية وأهدافهم الحقودة ، حيث لا يجدي هذا الاسلوب فلابد اذن من مناورة باردة تمر بصورة سلمية هادئة لا يثار حولها الغبار ولا تثير الشعور العام الاسلامي ، بل تجتذبه وتتودد اليه وتتلمس عند المسلمين التقارب وحسن النية وسلامة الخاطر تماما كتغير اسلوب الاستعمار المشار اليه آنفا وانتقاله من شكله العلني الذي يتسم بالحدة والضراوة الى صيغه السلمية التي تتظاهر باللينة وحسن الجيرة • لذلك نرى أن أبحاث المستشرقين المتأخرة كانت منصبغة بلون جديد ، ألا وهو الاسلوب الآخر للاستشراق فظهرت أبحاثهم بمظهر النزاهة والاخلاص وسلامة الصدر وانصافية البحث • فجاءت بحوثهم وفيها الاشادة والمديح والثناء على الاسلام ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل تهيئة الذهنية الاسلامية لقبول أبحاثهم وايجاد جو من الثقة بنزاهة بحوثهم وانصافها ، وصولا الى تحقيق التقارب المنشود لتفاعل الفكرين الاسلامي والغربي ثم

(٦) التبشير والاستعمار ص٧٢ المكتبة العصرية •

احتواء الاسلام وافراغه في قارورة الفكر الرأسمالي الغربي وبذلك يُنسخ الاسلام ويفقد صلابته ومتانته كفكر مستقل له أصالته وحضارته الخاصة • ومن هنـا يتبين أن أبحاث المستشرقين المتأخرة ليست الا الوجه الخفي والاسلوب الآخـر لهجومهم الهادم للاسلام ولكن بشكل لا يلفت النظر ولا يثير الهواجس لدى المسلمين ، بـل يوجد عندهم الميل والقبول والثقة •

ومن أمثلة الاسلوب الآخر ما يقوله توماس كارليل في كتابه (الابطـال)[٧] (أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي الى الدعوة بأن دين الاسلام كذب وأن محمدا خداع مزور) • ويقول برناردشو[٨] (لو أن محمدا بعث في هذا القرن وكان له الامر المطاع لوفق كل التوفيق في حل جميـع المشاكل العالمية ولاستطاع أن يقود الناس الى السعادة والسلام) •

ويقول (درابر)[٩] : (كان محمـد متخلقا بتلك الاخلاق التي اذا اجتمعت برجل واحد أهلته لان يكون ذلك الشخص الذي تتوقف عليه مقدرات العالم) •

فواضح من هذا الكلام أنه زواج تقارب ومحاولة بيزنطينية لكسب المشـاعر واجتذاب الثقة والتودد لدى المسلمين وايهامهم بأن مرحلة التعصب الديني والتحامل الفكري قد انقضت مع الاسلاف الاقدمين ولابد مـن استئناف مرحلة جديدة مـن التواصل والتسامح والتعايش العقائدي في ظل السلم والسلام • وضرورة تفاعـل الفكرين الاسلامي والغربي واقتراض أحدهما من الآخر وازالة مظاهـر الوحشية وحث الخطى للالتقاء والتزاوج كحلقـة محكمـة لايجاد السبل التي يتم بواسطتها التبـادل والتلاقح بين الفكرين • فيكون التعامل الودي بينهما بمعزل عن سـلبيات الماضي وروح العداء القديمة المستحكمة بين الحضارتين ، يقول المستشرق (كانتويل سميث)[١٠] : (أن الاسلام كان عاملا أساسيا وسببا مهما من أسباب وجـود الهوة التي تفصل بين الغرب والمسلمين) • ولذلك فهو يدعو أبناء جنسه من الغربيين كما

---

(٧) مجلة الوعي الاسلامي عدد محرم ٣٨٧هـ •
(٨ــ٩) مجلة حضارة الاسلام العدد الثالث ايلول ١٩٦١م •
(١٠) الاسلام التاريخ الحديث الذي صدر عن جامعة برنستون الامريكية ص١٠٢ ـ ١٠٣ •

يدعو المسلمين الى سد الثغرة ببناء جسر فوق هـذه الهوة وخلق الاسباب الموصلة للتفاهم والتواد • ويقول أيضا في خاتمة الفصل السادس الذي كتبه عن الهند : (أن فكرة استقلال الحضارات قد ماتت ولم يعد لها وجود في أيامنا هذه عاشت كل حضارة من الحضارات في عزلة قبل أن تربطها بالحضارات الاخرى صلات ود أو عداء ، أما في أيامنا هذه فعلينا أن نتعلم كيف نعيش متعاونين ، والاسلام كغيره يحب أن يثبت قدرته على الخلق والابتكار من هذه الناحية) • فاذا ما تم الامتزاج الكامل والتواصل المحكم الذي تظلله مظاهر الصداقة والتسامح عندئذ يتحقق لهم الكسب الاعظم في احتواء الاسلام وصهره أفكاراً وأحكاماً ليقبع في عزلة باردة وتقفل عليه بوابة القمقم الغربي •

أن هؤلاء المستشرقين الجدد الراقصين على الحبال والذين يتظاهرون بالاخلاص واتصافية البحث ونزاهة القلم • لو كانوا منصفين حقا متجردين عن الغرض الخبيث في تصريحاتهم لساقهم هذا الاعتراف الصريح الى الايمان بالاسلام والانسلاخ من الكفر كما حدا بالمستشرق الفرنسي (دينيه) فأعان اسلامه وتسمى باسم (ناصرالدين دينيه)[١١] •

والا فما قيمة هذا الاعتراف اذا لم يسبق صاحبه للاعتراف بالاسلام ولزوم عقيدته وأفكاره وأحكامه •• ؟ لأن الذي يعترف بأحقية الاسلام وصدق فكرته ورسوله ورسالته وهو مقيم على الكفر ومستمسك بالباطل فانه مخادع • يهدف الى تحقيق غاية في النفس خبيثة • فمثل هذه الطائفة التي تتقمص الثوب الخادع والتي تقوم سياستها على الاقناع الكاذب والدسيسة الحاقدة والمناورة اللعوب قد أشار اليها القرآن الكريم : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) • فالايمان الزعوم الذي لا يترجمه الاعتقاد والعمل الصادق هو الكفر الصريح ليس الا (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) • فعلى المسلم تشخيص القضايا والتدقيق في خلفياتهم ليكون حاد البصر قوي الفكر سريع البديهة ولئلا يلهث وراء السراب وينخدع ببهرج القول وزائف الرأي •

---

(١١) الاستشراق والمستشرقون للدكتور مصطفى السباعي ص٢٧ •